وسائل تطوير اللغة العربية العلمية

الدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الاردنية

توطئة :

كانت اللغة العربية لعدة قرون خلت لغة العلم والفكر والحضارة ، فقد نقلت اليها انواع العلوم والثقافات المختلفة منذ القرن الثاني للهجرة ، فاستطاعت ان تستوعبها وتهضمها ولم تقف عند هذا الحد ، بل تجاوزته الى مرحلة الابداع والابتكار ، فأضافت عن طريق ابنائها اضافات اصيلة الى العلوم بانواعها ، وكانت حلقة مهمة في سلسلة التطور الحضاري الانساني. ثم عدت عليها عوادي الزمن ، واصاب امة العرب ما اصابها ، من تكالب الاعداء في الخارج متمثلة بالحروب الصليبية في المشرق ، ووجهتها بيت المقدس في فلسطين ، وفي المغرب مارة باسبانيا الاسلامية ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى نالتها التمزقات الداخلية والحروب الاهلية وما صاحبها من انحلال سياسي واجتماعي .

وكانت نتيجة هذا كله ان انزوت هذه اللغة الشريفة ، لغة القرآن الكريم ولغة العلم والحضارة جانزواء اهلها . . . . . ولم تستيقظ الا في عصر التلفزيون والرادار والصواريخ العابرة للقارات ، عصر الطاقة الذرية وغزو الفضاء والنزول على القمر . . . . فيالها من حقيقة اشبه بالحلم . فهاهي لغتنا الحبيبة تستيقظ بيقظة اقطار امتنا العزيزة لتواجه الواقع بكل ما يحمله من مهام وواجبات ، وما يثيره من صعاب وعقبات .

ليت شعري ماذا يكون موقف اللغة العربية !!! في هذا العالم المتطور وفي خضم المعارف الانسانية المتسارعة التي تضع الانسان في منعرج تاريخ بشري جديد . فهل تختار طريق الجمود والانطواء على الذات ، فتتراجع الى العدم كما يشاء لها اعداء العروبة والاسلام ؛ ام تنفض عنها غبار الزمن لكي تشير الادوات الكامنة في في طبيعتها اللغوية والتي تجعل منها لغة حية متطورة تستطيع ان تستوعب ما يجد من المعاني الحضارية والعلمية ، وهنا تكمن اسباب الخلود في هذه اللغة الخالدة . . . . . .

بدات امتنا العربية يقظتها مع بداية هذا القرن ، وصاحب هذه اليقظة نهضة لغوية تحاول مسايرة العصر ، وتوطد دعائم نهضة الامة ووحدتها . فقامت مؤسسات تعنى باللغة العربية في دمشق وبغداد والقاهرة فكان لها شرف السبق في وضع اسس النهوض بهذه اللغة مدركة الادراك كله انه لا يمكن ان تنهض الامة الا بلغتها القومية ، وكان يقابل هذا التيار البناء تيار آخر يناصب اللغة العربية العداء ، ويثير العقبات والمصاعب في وجه تقدمها متذرعا بشتى الوسائل من اقليمية وطائفية حينا ، ومن غيرة زائفة على التقدم العلمي والتكنولوجي حينا آخر . ولم يفت انصار هذا التيار ان يتخذوا من اللغويين والمتنطعين ومن بعض هفوات المجامع اللغوية وأساليبها سلاحا للتشهير والخذلان ونحن نستطيع ان نشير الى فترتين اساسيتين في نهضة اللغة العربية المعاصرة . فالفترة الاولى تتمثل في الفترة الزمنية الواقعة بين الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية ؛ حيث تيار العربية يستعيد حيويته ويشتد في المشرق .

والفترة الثانية تتمثل في الفترة الواقعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر، واهم ما تتميز به هذه الفترة من الناحية الايجابية تحرر الشمال الافريقي من ربقة الاستعمار من الناحية السياسية وخوضه معركة التعريب التي

تعتبر اساسا فى كيانه الوطنى والقومى ؟ وكذلك جاء استقلال بقية الاقطار العربية فى المشرق ، وتوطيد دعائم التحرر السياسى والاقتصادى والثقافى فى بعض الاقطار وما ادى اليه من انتشار الجامعات العربية وزيادة عددها بنسبة كبيرة فى الوطن العربى .

اما من الناحية السلبية فان هذه الفترة تتميز بالهجمات الشرسة التى يشنها اعداء العروبة على امتنا العربية مستهدفين كيانها السياسى واللغوى والثقافى بل والحياتى من حيث الاصل . فهناك الآن الاستعمار الاستيطانى اليهودى فى فلسطين تدعمه قوى الشر واعداء العروبة والاسلام ، وهناك التيارات الشريرة فى الداخل التى تحاول النيل من تراث هذه الامة وقيمها ولغتها .

فاذا ما وضعنا هذه العوامل جانبا لانها ليست الهدف من هذا البحث ، فاننا نستطيع ان نميز التيارات التالية على المستوى اللغوى فى العالم العربى مشرقه ومغربه :

1) تيار العربية الفصحى المتزمتة .

2) العربية الحديثة والتى تتمثل بلغة المجلات والجرائد .

3) العامية الدارجة .

4) اللغة الاجنبية .

وبالرغم من اننى لا انوى مناقشة موضوع اللغة الادبية فى هذا البحث فاننى اجد لزاما على ان اشير للحق وللتاريخ ان هؤلاء الذين ينادون باستبدال لغة اجنبية باللغة العربية قلة قليلة قد تنكرت لامتها وتراثها وقيمها ، ولكنها مع الاسف تركز جهودها الان على مستوى اللغة العلمية متذرعة فى ذلك بحجج شتى لا تثبت امام الامتحان . اما اولئك الذين ينادون بالعامية الدارجة ، فقد هانوا على امتهم وبالتالى على عامياتهم المختلفة التى لا حصر لها ! ! ! فليت شعرى اليس لكل عامية قواعد نحوية وصرفية ؟ ؟ . وباية عامية يريدون ان يكتبوا ويتحدثوا ! ! ! فلكل قطر عامية وفى كل مدينة عامية ! ! ! وهكذا ...

وكذلك تكاد العربية الفصحى المتزمتة ، ان تنحصر فى بعض زوايا المؤسسات اللغوية وان تطور الحياة ومقتضيات العصر تفرض على الامة الحركة السريعة للحاق بركب الحضارة ومسايرة التطور العلمى والمشاركة فى الابداع والاختراع .

وسوف لا اقف عند اللغة الادبية ولا اخشى على وحدتها اذ ان « النص القرآنى » كفيل ابدئ فى توحيد اللغة الادبية . اما الخطر المحدق بنا الان فانما يكمن فى تطوير اللغة العربية العلمية لكى تواكب متطلبات العصر الحديث الحضارية والعلمية . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان هذا الخطر يتجسم ايضا فى صفوف المؤمنين بالتعريب والمنادين به الان ، وذلك بان تنشا لغات علمية عدة فى الوطن العربى ، فيصعب على العالم العربى وفى قطر من الاقطار ان يفهم ما يكتبه عالم آخر فى قطر آخر ....

ولا ادل على ذلك من هذا المثال الصارخ : قامت منظمة اليونسكو بوضع كتاب فى الرياضيات الحديثة للعالم العربى بلغة اجنبية ، ثم ترجم هذا الكتاب ، فترجم مع الاسف الى خمس لغات علمية عربية حتى الان ! ! فهناك الترجمة المصرية، والترجمة العراقية، والترجمة السورية، والترجمة الكويتية ، ثم الترجمة الاردنية . وكل ترجمة تستعمل رموزا ومصطلحات تختلف عما استعملته الترجمة الاخرى ، بحجة ان اجتهادها هو الصائب بنظرها . . . فان هذا الاجتهاد والغيرة على العربية لم يمنع من ان يؤدى الى بذر بذور لغات علمية مختلفة ، وفى هذا تحذير لخطر نشوء لغات علمية مختلفة وما يجره من اخطار اساسية على وحدة الامة وتعاونها وتنسيق جهودها فى ميادين العلم والمخترعات الحديثة .

اللغة العربية لغة متطورة حية ، والحياة تعنى النمو والازدياد . فقد حفظ القرآن الكريم هذه اللغة من الضياع والتشتت ، ولولاه لما كانت هناك لغة عربية اليوم وبالتالى لما كانت هناك امة عربية ولكان مصيرها مصير اللغات القديمة التى انقرضت او تلك التى تاثلمت الى لغات مختلفة كما حدث للغة اللاتينية . فنشات عنها الفرنسية والاسبانية والايطالية والرومانية ... ان النص القرآنى منع تشتت اللغة واندثارها ، وانه فى حفظه اياها من حيث الاساس لم يمنع تطورها ونموها . . . بل على النقيض من ذلك فقد جاء القرآن الكريم بلغة قريش وهذا يعنى انه اماث

ما عداها وقضى على الفوضى فى العربية وأخضعها لقانون بيانى ثابت . . . وكان هـذا فى حد ذاتـه تطورا عظيما فى كيان اللغة .

ولم تتوقف عملية التطور فى اللغة ، بل استمرت باستمرار الحيـاة وتفاعلها الحضارى ، فمـن التطور عمله فى مادة اللغة كما عمل فى صورتها ، فان لغة الكتابة فى القرن الاول الهجرى تختلف عنهـا فى لغـة القـرن الرابـع الهجـرى ، وان اللغـة الفصيحة الادبية التى نقراهـا اليوم فى مجلاتنـا وجرائدنا المتعددة تختلف اختـلافا بينا عن لغـة الكتابة فى عهد الازدهار الحضـارى الاسلامى ولا شك ان هذا الاختلاف مرجعه الى عملية التطـور التى ما انفكت تلازم طبيعة هذه اللغة . وهـذا يطرح على بساط البحث مهمة انجاز معجم تاريخى للالفاظ العربية والمعانى التى تدل عليها من خلال النصوص وعبـر العصور التاريخيـة حتى الوقت الحـاضر .

المشكلات التى تواجهها اللغة العربية :

لقد ذكرنا سابقـا ان اللغة العـربية قـد اجتازت امتحانا صعبا وتجربة قاسية لم تواجهها من قبـل فـى حياتها ، فقهرت تلـك المشكلات ، واستطاعت أن تستوعب جميع المعـانى المادية والفكرية ، وبالتالى لم يستطع سلطان الاجنبى والمستعمر ان يقضى عليها . وهـى الآن تتعـرض للخطر العظيم يأتيها من ابنائها العاقين منهم وغـير العاقين ايضا ومـن هجمات الاستعمار الشرسة السياسية والاقتصاديـة والحضارية واللغوية . ان لغتنا تتعرض فى هذا الوقت الى خطر عظيم . كما أن امتنـا العربية تتعرض الى اخطار تهـدد وجودها وكيانها . ولا ادل على ذلك من الاستعمار الاستيطانى اليهودى فى فلسطين والذى يهدد الاقطار العربية الاخرى . والاصوات النابية التى تتعالى هنا وهناك فى المشرق العربى وفى مغربـه . تحمـل اللغة العربية وزر الهزائم وتنادى بتجـاوز اللغة الفصيحة الى لغات اجنبيـة حية او الى لهجـات عامية ممعنة فى الفرقة وتقطيع اوصال الامة والقضاء على هويتها لابقائها تحت نير التبعية المطلقة .

وأمـام هذا الخطر الداهـم ، يجب ان نعنى بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافيـة لمطالب العلوم والفنون وجميع شؤون الحياة الحاضرة ، فبالرغم من ان اللغة وسيلة الاداء والتفاهم بـين الافراد والجماعة ، فانها فى مفهومها القومى غاية فى حد ذاتها . فهى مجموعة من الافـكار والتقاليد والعواطف والاحاسيس والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات ، تنتظمها الالفـاظ انتظاما فى وحـدة ذاتية ترتبط ارتباط الشكل بمحتواه . . . وهنا لابد ان نطرح هذا السؤال الكبير :

كيف نستطيع رد الحياة النامية الى اللـغة العربية وبسط رقعة الوضع امام الواقع اليومى لكى تلحق هذه اللغـة بركب الحضارة وتـواكب مخترعاتها ومكتشفاتها المتزايـدة فى كل يوم ؟ اذ ما عسى ان يكـون مستقبل أمة ليست لهـا لغـة كاملـة ؟ . . . ان الامة التى ليس لهـا لغة تامـة صحيحة لا يمكن ان يكون لها فكر تام صحيح .

لا شك ان اللغة العربيـة تواجه فى الوقت الحاضر مشكلات مهمة لا بد من دراستها وتناولها بصورة موضوعية ومن خلال خصائص هذه اللغـة وأساليبها ووسائل نموها ونحن نستطيع ان نحدد هذه المشكلات على الوجه التالى :

1) مشكلة **المصطلحات فى اللغة العربية .**

2) مشكلة **نحو اللغة وصرفها .**

3) مشكلة **معجمات اللغة ومفرداتها .**

4) مشكلة رقم اللغة اى الاملاء

اما ما يثار حول انقطاع الصلة بين الاسلوب القديم والاسلوب الجديـد ، فى الكتابة الادبيـة فنحن نعتقد أن ذلك لا يكون مشكلة بل على النقيض انه دليل على حيوية اللغة وتطورها . فقد قامت الصحافة والمجلات الادبية بدور مهم فى ادخـال التعابير المترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغات العربية الحديثة ، وهى تعابير كثـيرة لا يستطيـع تمييزها الا مؤرخو اللغة .

وان الكاتب الحديث يستعملها فى لغته الادبية دون ان يشعر باية غرابـة او استهجان . مثـال ذلك قولهم : « ذر الرماد فى العيون » و « اصطاد فى الماء العكر » و « كان الحادث صدى بعـيد » و « قال ذلك بصفته مسؤولا » . . . . الخ .

ومهما يكن من امر ، فقد انسابت هذه التعابير الدخيلة الى لغتنا واصبحت جزءا منها . وان تدرة

اللغة العربية على استيعاب هذه التعابير وغيرها من التعابير المستجدة ليكون احدى ميزاتها الاصيلة في مسيرتها الحية المتطورة . ونحن اذ نجد بين الفينة والفينة من يشجب مثل هذه التعابير في الكتابة الادبية ، فان اللغة العلمية قد بقيت لحسن الحظ بنجوة من التتبع والمؤاخذة مما يفتح الباب على مصراعيه أمام لغة العلوم والمعارف المستجدة .

ومن اهم المشاكل التي تواجهها اللغة العربية الفصيحة في مسيرتها من حيث هي لغة التعليم العام وبالتالي لغة الكتابة والحديث ايضا لجماهير المثقفين ، هي مشكلة استصعاب الدراسة النحوية والدراسة الصرفية مما يبعث على النفور من اللغة . وهنا لابد أن نفرق بين نحو اللغة باعتباره جزءا من طبيعة اللغة وجوهرها وبين أساليب دراسة هذا النحو او الصرف ونحن نعتقد انه في طليعة اسباب هذا النفور من النحو والصرف ، يأتي الجمود في اتباع قدماء النحويين في سرد القواعد من غير عرضها على كلام العرب وشعرهم الخالي من الضرورة ، والتزام اقوالهم كأنها مما يحرم الاجتهاد فيه ، **فقد جمد النحو المعاصر الذي اخذت به المؤسسات التعليمية في الاقطار العربية على مدرسة البصريين دون غيرها من مدارس النحو . . . .**

وهكذا أتاه الجمود وصار النحو مع الاسف غاية في ذاتها لا وسيلة للتعبير عن المعاني والاحاسيس . ولم يستطع المؤلفون في النحو من المعاصرين أن يأتوا بشيء ذي قيمة في تسهيل هذا العلم الذي هو ميزان تأليف الكلام . وما يقال عن النحو يقال ايضا عن الصرف من حيث هو قوام تطور اللغة .

فلماذا مثلا يقتصر على اتباع المذهب البصري في كون أصل الاشتقاق من اسم المعنى لا من اسم الذات ، وهذا يعني تقديم التجريد على التجسيد ، وفي ذلك تضاد مع طبيعة اللغة .

أما قضية معجمات اللغة العربية ومفرداتها ، فان **المعاجم لم تدون جميع ما ورد في كلام العرب** ، بل لم تعتبر الا اليسير . فأين المعجمات من هذا التراث الضخم من كتب الادب ودواوين الشعر ومؤلفات العلوم بأنواعها . . . فالعربية ما زالت بحاجة الى معجمات تستوعب الفصيح وغير الفصيح والقديم والمولد والعربي والمعرب مما ورد في كتب العرب المسلمين الذين الفوا بالعربية . وهنا تأتي أهمية وضع معجم تاريخي يستقصي الفاظ العربية ومعانيها المتطورة من خلال النصوص وعبر العصور التاريخية حتى وقتنا الحاضر . وان مثل هذا الجهد الضخم يحتاج الى تجنيد جميع طاقات الامة العربية اللغوية تدعمها مؤسسة على هذا النطاق ذات امكانيات مالية وفنية كبيرة ان البحث في مشكلة اللغة يقودنا حتما الى التحسس **بضرورة وجود أنواع من المعاجم تكفل للغة العربية مواكبتها للحضارة العالمية ، وبالتالي توفر لابنائها مجال الابداع والمشاركة لانه لا يمكن الابداع الا بلغة الام** ، ونعني الام هنا اللغة القومية . ومن هذه المعاجم المعجم التاريخي او التشوفي والمعجم الاصطلاحي والمعجم المسادى (العام) والمعجم العلمي .

اننا بحاجة ماسة الى معجم يفي بجميع الاغراض العلمية ، تعرف فيه الالفاظ العلمية بطريقة قادرة على تصوير الشيء المعرف تصويرا صادقا ينطبق على ما يدل عليه . ان لغتنا العربية في هذا العصر ، عصر الذرة وغزو الفضاء ، شديدة الحاجة الى المصطلحات العلمية والتقنية . ولذا فمشكلة المصطلحات هي كبرى مشكلاتها .

مشكلة المصطلحات :

قد لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان احتياج امتنا العربية الى المصطلحات العصرية اللغوية كاحتياجها الى جميع وسائل التقدم الحضاري بل ان حاجتها لذلك تأتي في المقام الاول لانها مرتبطة بأسباب وجودها ، اذ ما عسى ان يكون مستقبل امة ليست لها لغة كاملة تستوعب موجودات الحياة ومعطياتها .

ليست هذه المشكلة خاصة باللغة العربية ، فقد عانتها الشعوب الناشئة فهذه الامة اليابانية ، قد استطاعت ان تطوع لغتها القومية وان تصل بها الى اعلى ما وصلت اليه التكنولوجيا الحديثة ، بل هاهي اللغة الصينية تنطلق بانطلاقة شعبها لكي تصل الى طليعة الدول الدووية ، دون أن نذكر امما اخرى قد جعلت من لغاتها القومية لغات تستوعب جميع المعارف والعلوم الحديثة مثل التركية والفارسية والدانماركية وغيرها .

وقد كان الامر كذلك فيما يتعلق باللغة العربية قديما . اذ اجتازت فى نهضتها صعوبات الترجمة واستيعاب المعانى الحضارية اذ ذاك فتم لعلمائها وضع كثير من الالفاظ بطرق الاشتقاق والمجاز والتعريب . . . . الخ .

وترجموا تعابير دقيقة حتى اصبحت اللغة العربية لغة العلم والحضارة اذ ذاك . ان ذلك كله يعنى اننا لا نقف الان امام تجربة نخشى عليها الفشل ، فقد مرت اللغة العربية بهذه التجربة ، وبرهنت على حيويتها وقدرتها المتجددة على الاستيعاب . فمن القدماء الذين عنوا بتسجيل المصطلحات نذكر « الخوارزمى » ، صاحب كتاب « مفاتيح العلوم » ، « والجرجانى » صاحب كتاب «التعريفات» و «الجواليقى» صاحب كتاب «المعرب الاعجمى فى لغة العرب» ، و «الخفاجى» المصرى جامع كتاب « شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل » « والتهانوى » صاحب كتاب « كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم » . . وان ما اثبت من اسماء المصطلحات فى الكتب العربية اكثر مما وردت فى هذه الكتب بكثير .

وفى العصر الحديث كان القصد الاسمى من انبعاث حركة المجامع ، العمل لاعداد لغة قومية شاملة فى مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية التى تجرى مجرى الوسائط فى تادية الغرض العلمى .

فالمصطلح لا يعنى تسمية جامعة مانعة للمسمى كما يظن بعض الناس ، بل يرمز اليه رمزا لصلة بين الرمز والمرموز اليه . وهذه الصلة تختلف قوة وضعفا على حسب الاحرف المؤسسة للرمز . فالاصطلاح متصور دائما على احاطة بمعنى الشىء المسمى اصطلاحا . ومن اجل ذلك كثيرا ما نقول : هذه الكلمة لغة معناها كذا واصطلاحا هنا كذا . . . **ويعتمد المصطلح فى استعماله ونيوعه على الرغبة والغيرة والدعوة وكذلك الزمان يساعد على ترسيخه وتثبيته او على زعزعته واقفائه** .

ان الاصطلاحات من الامور الوضعية والاعتبارية ، فالكلمات المصطلح عليها فى المعانى العامية لا تدل على تلك المعانى من حيث اللغة دلالة تامة ، فلذلك ليس من الضرورى أن نترجم الكلمة المصطلح عليها ترجمة حرفية بل من الاوفق أن نتحرى الكلمة التى يمكنها ان تدل على المعنى المطلوب على أحسن الصور وأوضحها .

ومما يجب ملاحظته فى اختيار المصطلحات ان بعضها تبقى بطبيعتها محدودة الاستعمال فلا يستعملها عادة الا طبقة من الاختصاصيين . ففى مثل هذه الحال يمكننا أن نستعمل الكلمات الاجنبية بل ويجوز لنا أن نبقيها على هيئتها الاصلية. اما بعض المصطلحات الاخرى فقد تكون عرضة للانتشار والذيوع ، وقد تدخل لغة الشعر والادب ، وهنا يتوجب علينا ان نختار الكلمات العربية ما استطعنا الى ذلك سبيلا . أما اذا اضطررنا الى استعمال كلمة اجنبية فيجب ان نعربها تعريبا تاما ، وذلك بأن نفرغها فى قالب عربى يسهل لفظها على الناطقين بالضاد .

لا شك ان غاية الكمال فى اللغة هى ان يخصص لكل معنى كلمة معينة او تعبير معين وان لا يلتبس فى الذهن معنيان من كلمة واحدة ، فى حين انه لا يزال فى كل اللغات كثير من الكلمات التى تدل على معان مختلفة وحتى على معان متباعدة . فاذا كانت المصطلحات قد وصلت الى درجة الكمال فى بعض العلوم مثل الفيزياء والرياضيات فانها بعيدة عن هذه الدرجة فى العلوم الانسانية . وهنا تأتى اهمية مقارنة الاصطلاحات التى تستعملها الامم المختلفة ، لكى تدلنا على ما يجب عمله فى مثل هذه الاحوال ولا سيما لكى نتجنب تقليد احدى اللغات بجميع نواقصها تقليدا اعمى .

فالمصطلح يوضع احيانا لادنى ملابسة بينه وبين مسماه ، واوهى صلة بينهما . وانما القضية التى تطرح نفسها على الساحة العربية هى : تعميم المصطلحات ونشرها واستعمالها فى جميع الاقطار العربية موحدة متفقا عليها . فاننا لا نستطيع ان نتصور اصطلاحا تاما فى ذاته غير قابل للتنفيذ والمناقشة بل وقد لا نصل اليه ابدا . وانما الهدف ايجاد لغة علمية واحدة بجميع مصطلحاتها فى الوطن العربى . فاللغة للامة جميعا ، ويجب ان نستكمل كل ما يدعوها للبقاء الخصب النامى ، وان تكون قادرة على تناول الاشياء مهما استدقت بصورة عربية بحتة تخدم الادب والعلم والفن والصناعة . . . وان اعداد العربية من حيث كونها لغة قومية وافية ، لا يضيرها مطلقا اذا كانت جماعة الاختصاص تتفق عالميا على الفاظ علمية بعينها . فهذا شىء يحدث فى جميع اللغات الحية .

ومنذ مطلع القرن العشرين بذل بعض الباحثين

مجهودهم فى اختيار مصطلحات مفيدة . نذكر منهم :

1) الدكتور امين المعلوف فى معجميه الحيوان واسماء النجوم .

2) الامير العالم مصطفى الشهابى فى معجمه النبات .

3) الدكتور محمد شرف فى معجمه العام .

4) المجمع اللغوى المصرى فى مصطلحاته .

5) الدكتور احمد عيسى فى معجمه للنبات .

وقد بحث موضوع « المصطلحات العلمية » فى المؤتمر العلمى العربى الاول الذى عقد فى الاسكندرية فى صيف عام 1953 . واستقرت المناقشات على ضرورة توحيد المصطلحات فى البلاد العربية جميعا .

وتطرق المؤتمر العلمى العربى الثانى الذى عقد فى القاهرة فى صيف عام 1955 ، الى بحث هذا الموضوع ايضا وتألفت فيه شعبة للمصطلحات درست توحيد الترجمة العربية لنحو عشرة آلاف مصطلح فى اربع حلقات هى :

1) حلقة العلوم الرياضية والطبيعية والفلك

2) علوم النبات والحيوان والصحة العامة .

3) علوم الكيمياء والجيولوجيا .

4) علوم المواد الاجتماعية .

وفى ربيع 1956 وافق مجلس الاتحاد العلمى العربى على خطة بشأن المصطلحات جاء فيها :

— : الاهتداء بالمعاجم والقوائم المعبرة فى اللغات الاجنبية التى حصرت المصطلحات الدالة على المعانى الكلية فى كل فرع وتشتمل على المصطلح الاجنبى الدال على المعنى وتعريفا دقيقا للمصطلح بحيث يكون من الميسور وضع اللفظ العربى وترجمة التعريف الى اللغة العربية .

— : طبع مصطلحات كل مادة فى معجم خاص ويرسل المعجم الى وزارات المعارف والهيئات العلمية والمجامع اللغوية ويلتزم استعمالها .

وأهم ما أراه فى هذه الخطة هو « التزام الاستعمال » واتخاذ قرار بالتعريب ، ولكننا مع الاسف ما زلنا نجد انفسنا حيث كنا ! ! ! والسبب فى ذلك ليس له علاقة بطبيعة اللغة ولا بقضاياها التى تواجهها ، ولكنه يكمن فى السياسة التى تسيطر على المؤسسات العلمية العربية التى تناى باللغة القومية على المجالات العلمية لاسباب مختلفة لا مجال لبحثها الان .

وسائل نمو اللغة فى التعبير عن معانى الحياة والفكر:

يصاحب النمو الحياة ويدل عليها . ولذا فاللغة الحية لغة نامية فى الفاظها وفى اساليبها . واللغة العربية هى احدى اللغات الحية النامية . وحيوية اللغة تقاس بقدرتها على التعبير بالفاظ خاصة عن كل ما يجول فى الفكر وما تتعامل به الحواس . وقد نمت اللغة العربية فى مدارج حياتها الطويلة عبر العصور ، فتراكمت الفاظ كثيرة من المهجور وغير المستعمل والمغمور فى الكتب العربية ، المنشور منها والمخطوط ، المعروف منها والتالد بعد فى زوايا المكتبات والاتربة ، ما يدعم اللغة الحاضرة ويوفر لها الامكانيات الواسعة للاستيعاب المستجد .

فاللغة العربية كما تنص احدى الروايات ، تتألف من ثمانين الف مادة ، والعلماء يقولون ان المستعمل منها عشرة آلاف . وفضلا عن هذه الثروة اللفظية الهائلة التى تعتبر رصيدا ضخما للغة ، فان اللغة العربية تشتمل فى طبيعة تكوينها على عناصر نموها وحيويتها . فهناك : القياس والاشتقاق والقلب والابدال والنحت والارتجال والتعريب .

فالقياس من عناصر اللغات الحيوية التى تمدها بالقوة والنماء والنهوض والفتوة دائما ، وان استقراء القواعد بحد ذاته ليس الا ضربا من ضرب القياس . فالقياس استنباط مجهول من معلوم فاذا اشتق اللغوى صيغة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة فى مادة اخرى ، سمى عمله هذا قياسا . فالقياس اللغوى هو موازنة كلمات بكلمات او صيغ بصيغ او استعمال باستعمال رغبة

فى التوسع اللغوي وحرصا على اطراد الظواهر اللغوية • وقد توسع الكوفيون فى القياس ، واباحوا النسج على القليل النادر ، فلا يكادون يرون فى الاساليب المروية شذوذا بل طرقا متباينة ، لسنا ان نتخير منها ما نشاء وقد روى عن ابى على الفارسى وتلميذه ابن جنى : « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » • ولا شك ان لحرية الراي فى الامور الفلسفية والاجتماعية التى نمت وازدهرت فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، كان لها صدى فى البحوث اللغوية ايضا ولا سيما فى القياس •

وكان يناهض هذا التيار تيار آخر هو السماع اذ اكتفى اللغويون المحافظون بالسماع ، فوقفوا فى وجه التطور الذي تعنيه العربية وتدل عليه طبيعتها النامية ، وما زال مع الاسف بعض اللغويين اليوم ، يتمسكون بهذا الاتجاه ، ويحاولون ترقيع امزاق الماضى والتعامي عن مطالب العصر ، بل ويتحولون بالبحوث اللغوية الى ما ينفر من العربية ، ويجعلها مستحيلة على محبيها ، ناهيك عن اعدائها ••• هذا مع العلم ان حجة السماع واهية ، فقد ورد على لسان ابى عمرو بن العلاء قوله : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافرا لانتهى اليكم علم وشعر كثير » ••• فالسماع مبنى على الحفظ ، وما لم يحفظ اكثر مما حفظ ، مما يسوغ لنا ان نقبل ما يؤيده القياس ، ويلغى ما يتمسكون به من حرمة السماع •

اما الوسيلة الثانية لنمو اللغة ، ولا سيما من حيث الالفاظ والصيغ فهى ما يسمى بالاشتقاق • والصلة بين القياس والاشتقاق وثيقة • فالاشتقاق عملية استخراج لفظ من لفظ او صيغة من اخرى ، والقياس هو الاساس الذى تبنى عليه هذه العملية الاشتقاقية كى يصبح المشتق مقبولا معترفا به بين علماء اللغة • انها طريقة فى تنمية اللغة وتوسيعها ، تقوم على تحوير العناصر الموجودة فى اللغة ، وتولدها توليدا طبيعيا ، وتظل الفروع المولدة متصلة بالاصل• ويبقى ميسمه اللفظى والمعنوي ماثلا فيها ، على تنوع وتوسع •

فاذا لم يوجد للكلمة الاعجمية مقابل فى العربية يشتق لها لفظ عربى والاشتقاق قياسى فى لغة العرب، قال احمد بن فارس : « اجمع اهل اللغة الا من شذ منهم ان لغة العرب قياسا ، وان العرب تشتق بعض الكلام من بعض » ، وهنالك الوان من الاشتقاق متمايزة ولكن اشيعها ولخصبها هو الاشتقاق الصغير ويعنون به : « اخذ صيغة من اخرى مع اتفاقهما معنى ومادة اصلية ، وهيئة تركيب لها ، ليدل بالثانية على معنى الاصل ، بزيادة مفيدة لاجلها اختلفا حروفا او هيئة • مثل شارب من شرب ، وحذر من حذر •»

وذكر ان الاصل فى الاشتقاق ان يكون من المصادر ، واصدق ما يكون فى الافعال المزيدة والصفات منها واسماء المصادر والزمان والمكان • ويغلب فى العلم ، ويقل فى اسماء الاجناس كغراب يمكن ان يشتق من الاغراب وجراد من الجرد • والاعلام غالبها منقول بخلاف اسماء الاجناس فلذلك قل ان يشتق اسم جنس لانه اصل مرتجل ، فان صح فيه اشتقاق حمل عليه كغراب من الاغراب • وقد اشتقوا حديثا (مستشفى) مكان الشفاء و (متحفا) مكان التحف ، و (مصرفا) مكان الصيرفى ••• الخ •

وقد حمل تيار الجمود بعض المحدثين على القول بان الاشتقاق سماعى مقيد بازمان خاصة واشخاص معينين •

وبالرغم من ان القدمين جروا على الاشتقاق من الاسم المعرب ، فقالوا : هندس ودرهم ، وخندق وقرطس • وجرى المعاصرون على اشتقاق كهرب وكهربائية من الكهرباء ، ومغنط ومغناطيسية من المغناطيس واشتقاق اكسد من المعرب اكسيد • اقول بالرغم من ذلك كله فقد وجد فى العصر الحديث من يمنع اعطاء ما عربته العرب من اللغات واستعملته فى كلامها حكم كلامها فيشتق ويشتق منه بقولهم : « ومحال ان يشتق العجمى من العربى ، او العربى من العجمى ••» !!!

ونحن نعتقد ان هذا مفهوم خاطىء فضلا عن جموده واعاقته لحيوية اللغة ••• وهم فى ذلك يستندون الى مناقشات جدلية مبنية على قضايا غير مسلم بصحتها ••• وان المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة اليها • فقد كان العرب ، فى علاقاتهم التجارية والسياسية مع الاقوام المجاورة ، منذ القدم ، يتناولون اللفظ الاعجمى ، فيصقلونه ويهذبونه بحسب اوزان لغتهم ومنطق لسانهم ، فيخرج من لسانهم كانه عربى صميم • وهكذا فان هذه الالفاظ تعتبر عربية فصيحة، فكيف يمكن بعد ذلك ان تعتبر لغات مستقلة او ان

تحافظ على عجميتها والراي عندنا انها الفاظ عربية تخضع لقواعد اللغة ونحوها وصرفها دون اي تمييز الا ما حكم به الذوق السليم فى عذوبة الجرس وسهولة اللفظ .

اما اشفاقهم على اللغة من الفساد . وبطلان حقائقها ، فهى حجة واهية وغير مقبولة واللغات الحية المعاصرة دليل على ذلك . فان الدراسات اللغوية تبين ان اكثر من نصف الفاظ اللغة الانجليزية ليست انجليزية الاصل ، وان اقل من نصف كلمات اللغة الفرنسية من اصل لاتينى والباقى من اصول يونانية والمانية ، وانجليزية وايطالية ، واسبانية وبرتغالية وعربية وهنغارية وعبرية وسلافية وتركية ، ومن لغات افريقيا ، ومن اللغات الاسيوية ومن اللغات الامريكية الهندية ...

وكما ان الحاجة ماسة فى العصر الحديث الى الاشتقاق من المعرب ، فان الاشتقاق من الجامد ليس باقل اهمية . فقد وقف كثير من اللغويين بالاشتقاق من الجامد عند حد السماع . ففى « لسان العرب » فى مادة (جرب) ورد :

« وجوربته فتجورب . اي البسته الجورب فلبسه » . وورد فى محاضرات الراغب . « الحجاج لما جنق الكعبة » ، اي انه اشتق فعلا من «المجنيق». وورد فى نزهة الجليس قول الامام عليه السلام : « مهرجونا كل يوم » . وورد فى نشوار المحاضرة : « فرطلتها» اي فوزنتها فى يدي لاعرف ثقلها اشتقه من الرطل ...

ولا شك ان القياس فى هذا الباب يفتح الباب واسعا امام اللغة فى استيعاب معانى التعامل مع الادوات الحضارية الحديثة التى تدخل فى حياة الانسان بالعشرات والمئات كل يوم .

فالاشتقاق فى اسماء الاحداث ضرورى ، لابد منه ولا يجوز ان يكون عدم السماع حجة فى منع قياسه واطراده . فانه ربما نظر الى الفعل الذي تفعله كل اداة مستحدثة ، فان استطعنا ان نشتق لها من فعلها اسماء فذاك . والا نظرنا فيها على طريقة التعريب ، فان وضع الكلمات الحديثة فى اللغة يجرى بصورة رئيسية اما على طريقة الاشتقاق واما على طريقة التعريب ، وقد يجمع بينهما .

التعـــريب :

التعريب والاعراب فى اللغة معناهما واحد وهو الابانة والافصاح يقال : اعرب عن لسانه وعرب ابان وافصح . وتعريب الاسم الاعجمى ان تتفوه به العرب على مناهجها . تقول : عربته العرب واعربته ايضا . والمعرب هو ما استعمله العرب من الالفاظ الموضوعة لمعان فى غير لغتها .

وقد كان للعرب بعض مخالطة لسائر الالسنة فى اسفارهم ، فعلقت من لغاتهم الفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، واستعملتها فى اشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربى الفصيح ووقع بها البيان . وفى اللغة العربية من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والرومانية والحبشية والعبرانية والهندية الشيء الكثير ...

فالمعرب كثير فى كلام العرب وفى علوم العرب قديما وحديثا . والاقتباس عام بين اللغات لا تستغنى عنه اي لغة ما دام العلم مشاعا بين الامم ... والعلم فى نمو وازدياد ، فلابد ان تزداد معه المصطلحات والمسميات . فالتعريب اذن ضروري لحياة العلم ... ولا خوف منه على كيان اللغة . فانما اللغة قائمة بحروف معانيها وافعالها وصرفها ونحوها وبيانها وشعرها وخصائصها التى تمتاز بها ، وان بضع مفردات غريبة عنها قد التجات اليها ، فاضفت عليها رونقها الخاص وطبعتها بطابعها ، لا تؤثر فى جوهرها ولا فى هويتها .

فالتعريب قد يكون آخر ما يلجا اليه فى النقل عندما لا توجد كلمة عربية تترجم بها الكلمة الاعجمية او يشتق منها اسم او فعل او يتجوز منها مجاز او ينحت منها لفظ .

واللفظ المعرب يتبع قواعد التعريب فى بنائه وتركيبه سواء اشبه العربى من كل وجه او حفظ على ما يدل على اعجميته .

ان العلوم التطبيقية الحديثة وما تضيفه فى كل يوم من الادوات والمخترعات الجديدة تتطلب الفاظا كثيرة لهذه الآلات والادوات ، كما ان طبيعة بعض العلوم مثل الكيمياء والفيزياء الحديثة التى تتميز بهذا التطور الضخم السريع ، وبما تتميز به مصطلحاتها من حيث ارتباط الفاظها بعضها ببعض ، كل ذلك يبرر لنا اللجوء الى تعريب الالفاظ ، والا اختلط الامر علينا وضاع الهدف وبقينا متخلفين عن اللحاق بالركب المتقدم والبدء فى سلم المشاركة والابداع .

فالتعريب يغنى اللغة بذخيرة من الكلمات التى تعبر عن كل ظلال المعانى الانسانية ، كما انه يمدنا

بفيض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لاتستغني عنها في نهضتنا العلمية .

وكان هناك فريقان في امر التعريب ، فغريق يذهب الى وجوب اتباع الكلمة المعربة وزنا عربيا ، فليس يكفي ان تتكلم العرب باللفظة الاعجمية حتى تغدو معربة ... وفريق آخر وفيه سيبويه وجمهور اهل اللغة يذهب الى ان التعريب ان تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية مطلقا يلحقونها بابنية كلامهم حينا ، وحينا لا يلحقونها . بل وقد ذهب بعضهم الى القول : اذا عربت الالفاظ الاعجمية وتمكنت لدى العرب ، صرفها العرب واشتقوا منها مثل : ديباج ، فرند ، زنجبيل ، لجام ... الخ .

ونحن نرى الفاظا كثيرة عربت وشاع استعمالها مع وجود نظيرها في اللغة . مما يدل على مرونة هذه اللغة وقدرتها على الاستيعاب والنقل من اللغات الاخرى ، دون حرج . فلم يصبها الفساد ، ولم تفقد هويتها بل على الضد من ذلك ازدادت غنى وخصوبة واصبحت لغة عالمية للحضارة والفكر، لفترة طويلة ..

ومهما يكن من امر فلابد من اباحة التعريب باوجهه المختلفة ونقل الاسماء الاعجمية الى العربية بحروفها وذلك مثل اسماء الاعلام الاعجمية واللباس والشراب والطعام والاثاث والعقاقير الطبية غير العربية والادوية والعلاجات المادية واسماء الحيوانات والنباتات التي لم يعرفها العرب ولا هي من بلادهم وغير ذلك ... الخ .

ولعل من الواجب ان تتعارف جميع المؤسسات اللغوية على اصول يمكن اتخاذها قواعد للتعريب يقاس عليها ويجري على نسقها ، ويمكن تطبيقها والسير عليها في التعريب ، لكي تصبح الآداب العربية حيثما وجدت متحدة الالفاظ في المصطلحات ، فيسهل العلم وتوحد مناهجه ويعم نشره في جميع الاقطار العربية .

وان ما يسمى باقتراض الالفاظ في اللغات الاخرى ليس سوى الوجه الآخر من التعريب الذي يبيح لنا نقل الالفاظ الاعجمية دون تغيير او تشذيب .

فقد اصبح اقتراض الالفاظ بين لغات اوربا امرا مالوفا ... وتحرص المعاجم المؤلفة لهذه اللغات على بيان الكلمات الاصلية ، والكلمات المقترضة مع ذكر اللغة المستعار منها . فهنالك لغات حديثة يتحرج اهلها في قبول كل اجنبي من الكلمات ... وهنالك لغات ترحب بذلك الفيض الزاخر من الالفاظ المستعارة كالانجليزية التي يؤكد لنا بعض الباحثين ، كما اشرنا سابقا ، ان اكثر من نصف كلماتها اجنبي الاصل . واقتراض الالفاظ في اغلب حالاته وليد الحاجة حينا او الاعجاب حينا آخر ، كما راينا في الالفاظ المعربة التي شاع استعمالها مع وجود نظيرها في الاصل .

النقل المجازي :

وهو طريقة في التوسع اللغوي تستمد من اللغة نفسها ، وتفيد من عناصرها اللفظية المائتة والمهجورة، وهذا الاسلوب يطلق عليه اللغويون اسم المجاز مرة والنقل مرة اخرى . اما المجاز فهو تسمية الشيء باسم شيء آخر يقاربه او يتصل بسبب منه .

وقد يغلب استعمال لفظ في معنى على سبيل المجاز ، حتى يصير المجازي هو الذي ينصرف اليه الذهن عند الاطلاق . ومن هنا يمكن بعث الكلمات القديمة للدلالة على معان حديثة بطرق النقل المجازي. ولا يلبث اللفظ لغلبة استعماله في المعنى المجازي ، الا يفهم منه عند التجرد من القرينة الا هذا المعنى مثال ذلك :

المدرعة ، الغواصة ، الطيارة ، السيارة ، الحافلة ... الخ .

النحت و التركيب :

التركيب امر من امور النحت. فالكلمتان تتركبان احداهما بجانب الاخرى في كلمة واحدة ، وبنحات من اجزاء كل منهما ، تنتهيان الى وضع هو النحت عينه. ويرى بعض اللغويين ان النحت والتركيب امر واحد بل ويذهبون الى انهما لون من الوان الاشتقاق . وكان القدماء يطلقون «التركيب» على «النحت» كما هو راي الخليل . ومن اللغويين المعاصرين من يعبر عن النحت في معناه الاصطلاحي « بالتركيب والاختزال».

ويعرف القدماء النحت بقولهم : انه استخراج كلمة واحدة من كلمتين او اكثر .

فالنحت وجه من وجوه نقل الكلمات الاعجمية التي لا مقابل لها ، الى العربية والمنحوت من كلام العرب الذي وقع في اللغة كثير مثل : البسملة ، الحمدلة ... اما امثلة النحت المنسوب فهي كثيرة مثل : عبشمي ، وعبدري ... الخ وبالرغم من اختلاف آراء المعاصرين في التوسع باستعمال النحت في اللغة الحديثة ، يجمعون على ان النحت السائغ يزيد العربية الحديثة غنى فهناك من يقول بعدم

الحاجة الى النحت ، لا لشيء الا ان علماء العصر العباسي على حد قوله لم ينحتوا كلمات علمية ، وآخرون يقولون انهم لا يركنون اليه في المصطلحات الجديدة الا نادرا لا لسبب الا لانه على حد قولهم نادر في العربية ... الخ . وهنالك فريق معاصر آخر يرى في النحت وسيلة لاغناء العربية الحديثة ، وطريقة في التوسع يكفل لها مواكبة الحضارة وعلومها .

الا نرى اننا في كثير من الاحيان نعبر عن بعض المعاني العلمية بتراكيب متنوعة ، فاذا كانت هذه التراكيب قصيرة وسهلة يمكننا ان نستمر في استعمالها على حالها ، اما اذا كانت طويلة وصعبة فمن مصلحة العلم واللغة ان ننحتها لاجل تسهيل استعمالها وانتشارها . ومؤدى هذا الراي انه يقول بقياسية النحت عند الحاجة ، ولا شك ان هذا طريق سوي من طرق نمو اللغة وتطويرها . فقد قال المتقدمون مثلا : اللامتناهي ، اللاضروري ، اللاادرية .

ونقول الآن : اللاسلكي ، اللامركزية ، اللاشعوري ـ الخ . لقد برهن بعض الباحثين المعاصرين على ضرورة جعل النحت قياسيا لكي يستخدم في مصطلحات العلوم الحديثة ولا سيما في المصطلحات الطبية . ولكن مع ذلك كله ما زال كثير من اللغويين يقفون من ظاهرة النحت موقف المتردد في قبول قياسيته ، وما زالوا يرون الوقوف فيه عند حد السماع .

ونحن لا نرى في هذا التضييق الا اعاقة لمسيرة اللغة ، في الوقت الذي نبحث فيه اللغة من جميع امكانياتها وخصائصها لكي تستوعب طوفان الحضارة الحديثة في ادواتها ومعارفها وعلومها ...

وربما كان من المفيد ان نفتح باب القياس في النحت على مصراعه على ان تراعى فيه اوزان الكلمة العربية وانسجام الحروف عند تاليفها ... فالمصطلحات العلمية المركبة من عدة كلمات ثقيلة الاستعمال وتتجه جميع اللغات الحية الى جعلها قصيرة مستساغة . وليس امامنا ونحن في دور التجديد السريع الا ان نفيد من تجارب اللغات الحية . فاما ان نعرب بالنقل واما ان ننحت من «المصطلحات الوصفية» كلمات مفردة مستساغة لا لبس فيها ، بحيث يصبح لكل مصطلح علمي مقابل عربي مكون من كلمة واحدة ذات معنى محدد .

الطرق الكفيلة بتمكين اللغة العربية من مسايرة التطور العلمي والتقني :

لقد اجتازت اللغة العربية في عصورها الذهبية محنة الترجمة ايام العباسيين حتى اصبحت في طليعة اللغات العلمية . ثم جاءت عصور الانحطاط فغيرت مقومات العربية كتابة وكلاما ، وجمد نشاطها حتى اصبحت مفتقرة الى المصطلحات العلمية والفنية ... وقد بلغ بها الحال في نهاية القرن التاسع عشر واوائل العشرين ان لا يرى لها اثر الا بين اناس يعدون على الاصابع اذ كان لسان التدريس واغلب الصحف باللغة التركية . وبعد الحرب العالمية الاولى بدات حركة عربية نشطة تعنى باللغة العربية وبالتراث العربي . وازدهرت حركة التعريب . وكانت تساير في قوتها وضعفها ، قوة النضال الاستقلالي و التحرر من قيود الاستعمار . فقد انبعثت حركة المجامع اللغوية في العقد الثاني من القرن العشرين . فتاسس المجمع اللغوي في دمشق ، وفي 1926 م تاسس المجمع اللغوي العراقي وكذلك قام المجمع اللغوي في القاهرة وكان القصد الاسمى لانبعاث حركة المجامع ، العمل لاعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية لاستيعاب المعاني الحضارية المستجدة . قامت هذه المجامع اللغوية ، تعضدها جهود لغويين كثر بانجازات مشكورة ولكنها لم تحقق الهدف الذي من اجله وجدت . وليس من شاننا الان ان نقوم هذه الجهود . فقد كانت هنالك انجازات مهمة وتخبطات اتخذها اعداء اللغة العربية للتشنيع والتشهير والسخرية لكي يعيقوا تيار التعريب بل وللقضاء عليه اذا ما سنحت لهم الفرصة .

لقد راينا فيما سبق ان اللغة العربية تحمل في طياتها وفي حقيقة تركيبها ووجودها ادوات تعتبر من خصائصها الاساسية ، تكفل لها النمو والتطور المتجدد لاستيعاب معاني جميع ما يبدعه الانسان ويصنعه في حياته المادية والفكرية . وليس هذا بالامر الجديد على العربية لكي تخشى منه عاقبة الاخفاق ، فقد مرت العربية بهذه التجربة من حيث المبدا وذلك في عصورها التاريخية الزاهرة . ومن هنا نستطيع ان نستخلص

القول : ان تعريب العلوم او عدم تعريبها ، وان تعريب التعليم الجامعي بفروعه العلمية المختلفة ، او عدم تعريبه انما هو قضية لا علاقة لها بطبيعة اللغة العربية او بقدرتها على الاستيعاب ، ولكنها قضية تتعلق بتيار سياسي يعادي العروبة وتراثها ولغتها وبالتالي يعادي الامة في جميع اقطارها ، ويمنعها من المسيرة في مدارج الحرية والاستقلال الحقيقي . فان ايسر مباديء التربية تقول : يستطيع الفرد ان يستوعب بلغته القومية اضعاف اضعاف ما يستطيع استيعابه باللغة الاجنبية ، مهما كانت درجة اتقانه لهذه اللغة .

(هذا فضلا عما سبق واشرنا اليه من ان الابداع والابتكار مرتبطان ارتباطا عفويا بلغة الام اي باللغة القومية) .

نقول ان قضية التعريب وعدمه مرتبطة بهذا التيار من ناحية ومن ناحية اخرى ترتبط بذلك التيار الجامد المتوقع على نفسه ، المتفيهق والمتقعر بلغته والمتنطع في اسلوبه ، فان هذا التيار مع الاسف من حيث النتيجة هو الذي يمد تيار المتنكرين للعربية وتراثها وقيمها بالحجج العاجزة .

وهنالك من يقول بتعريب المصطلحات العلمية والدوريات الاجنبية وامهات المصادر والمراجع العلمية الموضوعة باللغات الاجنبية الحية اولا ، لكي نبدا تعريب التعليم الجامعي ولا سيما في الكليات العلمية . وهذا يعني ايضا من حيث النتيجة ان نبقى تبعا ، متاخرين عن التيار العلمي . فان البحوث العلمية والمخترعات ، تضيف الى المعارف الانسانية كل يوم عشرات الالفاظ . ونحن نعتقد انه لا خير لنا ان نبدا بممارسة حركة التعريب في مجالاتها المختلفة وبادوات هذه اللغة النامية التطور ، التي اوضحناها سابقا . فان التفاعل بالممارسة العلمية الجادة وتوطيد العزم على ذلك ييسر لنا التغلب على العقبات التي اجتازتها امم حديثة لم تكن لغتها القومية الاسباب المتوافرة في خصائص العربية وخلاصة القول فان الوسائل التي يمكن الاستفادة منها ، بصورة رئيسية لتكوين كلمات جديدة بقصد الدلالة على معان جديدة تتلخص في ثلاث طرق اصلية هي :

1) الاشتقاق 2) التعريب 3) النحت . ونحن نعتقد ان الآراء المختلفة حول مدى استخدام هذه الاداة او تلك او حول التحفظات او التحديدات التي يبديها بعض اللغويين على استعمال هذه الادوات لا يمس جوهر اللغة في شيء . فكيف يمكن ان يكون غنى اللغة في وسائل نموها سببا لاعاقتها عن التقدم ومواكبة الحضارة العالمية .

لجات بعض المجامع اللغوية الى وضع اولويات في استخدام ادوات نمو اللغة مثل الاشتقاق والنحت ، مدفوعة بحرصها على سلامة اللغة . فوضع المجمع اللغوي العراقي عند تاسيسه سنة 1926م خطة في وضع الكلمات والمصطلحات العلمية . جاء فيها : « ان وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري اما على طريقة الاشتقاق واما على طريقة التعريب ، ولا مانع من الجمع بينهما ، ويرجع الى النحت عند الحاجة»... وكذلك : « لا يذهب الى الاشتقاق في وضع كلمة حديثة الا اذا لم يعثر في اللغة على ما يؤدي معناها ، بخلاف التعريب . فانه يجوز تعريب كلمة اعجمية مع وجود اسم لها في العربية » .. وكذلك : « يرجح الشائع المشهور من المولد والدخيل على الوحشي المهجور من الكلمات التي في معاجم اللغة » . وهذه قواعد جميلة يقبلها المنطق والحرص على رونق العربية وجمالها ، ولكنها لا يمكن ان تكون سببا في اعاقة مسيرة اللغة بحجة القصور في العمل او الامعان في التدقيق والاختيار ... فليس المقصود مطلقا الوصول الى المصطلح الذي لا يمكن ان يفضله مصطلح آخر ... الخ . وقد اشرنا الى الطبيعة الرمزية للالفاظ فيما سبق .

اما مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد حدد طريقة في وضع المصطلحات بالتنقيب عنها اولا في كتب اللغة والعلم القديمة ، فاذا وجدها اعتمدها . واذا لم يجدها لجا الى الاشتقاق او المجاز او النسب او التصغير ، او نحو ذلك من القوانين اللغوية ، حتى تكون ثروة مستمدة من اصولها وموارداها فتستغني بها عن سواها ، ونستطيع ان نثبت امام جيوش الالفاظ الاجنبية التي تحاول ان تغزوها ... ويجيز المجمع استعمال بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم ...

الخاتمـــة :

ان لغتنا العربية تواجه في هذه الفترة العصيبة من حياة امتنا اخطارا تداهمها من العدو الاجنبي ومن بعض ابنائها مع الاسف • وان الواجب يقضي عـلى الغيورين على لغتهم والحريصين على بقاء امتـهم وتدعيم حريتها واستقلالها ان يتكاتفوا من اجل بعث حركة لغوية متطورة وذكية ، تصبح بنتيجتها اللغـة العربية لغة العلـم والادب والحضارة • تستوعب المصطلحات العلمية وتؤهل علماءها للمشاركـة والابداع •

فالمصطلحات العلمية هي الرافد الاساسـي للمعاجم والنهوض باللغـة على وجه العموم وهـي تشمل الفاظ الحضارة الحديثة في شتى فروعها : في المعرفة النظرية وفي التطبيقات العلمية ولا يراعى في الاصطلاح الا الافضل مما اشتد اليه مسيـس الحاجة ولو كانت الكلمة اعجمية الاصل •

واخيرا فنحن نود ان نجعل اقتراحاتنا عـلى الوجه التالي :

1) لقد حان الوقت لتاسيس مجمع لغوي واحد ، تعاونه المؤسسات اللغوية الاخرى في مختلف الاقطار العربية تكون مهمته اعداد المفردات والاصطلاحـات الاستعمالية الضرورية بالسرعة اللازمة على ان تلتزم جميع الحكومات العربية ومؤسساتها العلمية والثقافية بالتنفيذ • ويدعم هذا المجمع اللغوي دعما ماليـا ومعنويا • ونحن نتطلع لان يكون اتحاد المجامـع اللغوية نواة فعالة لهذه المؤسسة •

2) ايجاد هيئة جامعية ، فيها كفاءات ممتازة من اجل ترجمة الدوريات والحوليات والموسوعات العلمية المشهورة ونشرها باللغة العربية •

3) على المؤسسات العلمية العربية اتخـاذ خطوات ايجابية في التعاون والتشاور لرفـع المستوى العلمي ، ولكي تتمكن من جعل العربية لغة رسميـة للتعليم الجامعي •

4) توطيد الصلات الادبية بين العلماء والمفكرين والمعلمين في الاقطار العربية •

5) يفتح باب الوضع للمحدثين على مصراعيـه بوسائله المعروفة في نمو اللغة وان يرد الاعتبار الى المولد ليرتفع الى مستوى الكلمات القديمـة ، وان يطلق القياس في الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه ، وان يطلق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحدادين والبنائين وغيرهم من كل ذي حرفـة . وان قبـول المسموع الشائع من هذه اللغات الاجنبية التي دخلت الى لغة المصانع والحرف والمختبرات ، ولا سيما على نطاق البلاد العربية ، يوفعنا في البلبلة والترادف ، وهنا ياتي دور المجمع اللغوي الموحد الذي اشرنا اليه• فالالفاظ الدخيلة في عامية كل قطر من الاقطار العربية تختلف باختلاف المـؤثرات السياسية والاجتمـاعية ••• الخ •

6) هناك مخاطرة في ترك علماء اللغة يعملـون وحدهم ، دون ان يعمل معهم علماء مختصون في المادة التي يعرض لها الباحث ، وذلك بسبب الجهل بمادة العلم نفسه •

7) وضع معجم تاريخي للالفاظ العربية ، بحيث يبين المعاني المختلفة التي دلت عليها من خـلال النصوص وعبر العصور حتى وقتنا الحاضر •

8) وضع معجم لغوي جامع حديث في ترتيبـه وسعة مادته واستجابته لمطالب العصر تتـعاون في وضعه الاقطار العربية وتلتزم باستعماله •

9) العناية بتحقيق المخطوطات العربية واحياء ما في المصادر العربية القديمة في مجال اختبـار المصطلحات العلمية •••

10) القيام بحفريات في الجزيرة العربية بحيث يكون للمجامع والمؤسسات اللغوية مساهمة في اعداد التاريخ العربي القديم •

ونحن نعتقد ان تطور اللغة العربية وجعلهـا لغة التعليم بجميع فروعه وجميع مؤسساته وكلياته ، يعتمد قبل كل شيء على تبني سياسة التـعريب • وان اتخاذ القرار والاندفاع في تطبيقه وممارستـه بتوفر جميع المتطلبات اللازمة هو المنطق الحقيقي في معالجة هذه القضية القومية والحياتية للامة •

المصـــــادر والمراجـــع

ابراهيم انيس : من اسرار اللغة ، الطبعـــة الثانية ، القاهرة .

احمد تيمور : السماع و القياس ، الطبعة الاولى القاهرة ، 1374 هـ — 1955 م .

احمد عيسى : التهذيب فى اصول التـعريب ، القاهرة ، 1342 هـ — 1924م .

اسعد على : تهذيب المقدمة اللغوية الشيـخ عبد الله العلايلى ، بيروت ، 1388 هـ — 1968 م .

التنوخى — القاضى — ابو على الحسن بن على، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق عبـــود الشالحى 5 اجزاء — 1971 — 1972 .

الجواليقى ، ابو منصور موهوب بن احمد ، (465 — 540 هـ) ، المعرب من الكلام الاعجمى عـلى حروف المعجم ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، طهران 1966 .

الراغب الاصفهانى ، ابو القاسم حسين بـن محمد ، محاضرات الادباء ومحاورات الشعـــراء والبلغاء ، بيروت 1961 .

السيوطى عبد الرحمن جلال الدين ، المزهر فى علوم اللغة وانواعها ، جزءان ، القاهرة ، 1387 — 1958 .

عثمان سعدي ، قضية التعريب فى الجزائـــر القاهرة .

اللسانيات ، مجلة فى علم اللسان البـشري ، معهد العلوم اللسانية والصوتية ، المجلد الاول العدد 2 جامعة الجزائر .

محمد الخضر حسين ، دراسات فى العربيـــة وتاريخها ، دمشق .

محمد الخضر حسين ، القياس فى اللغة العربية القاهرة ، 1353 هـ .

محمد رضا الشبيبى ، تراثنا الفلسفى ، بغداد 1385هـ — 1965 م .

مصطفى جواد ، المباحث اللغوية فى العراق ، الطبعة الثانية ، بغداد ، 1385 هـ — 1965 م .

المكى العباس بن على بن نور الدين الحسينى الموسوي ، نزهة الجليس ومنية الادب الانيس ، ج2، النجف — 1967 .

ابن منظور ، لسان العرب .

المؤتمر الاول للمجامع اللغوية العلمية ، دمشق 1956 .

CH. BRUNEAU, Petite histoire de la langue française Tome premier - Paris 1966.